

إدغار موران آخر العمالقة الإنسانيين

مفكر مولع بالروايات والثقافة الشعبية.. قرأ الحاضر ويحذر من المستقبل



مفكر مبدع بكونه «ليقيا ثقافيا»

من كوبا والمكسيك وفنزويلا إلى بوليفيا وكولمبيا وبيرو وخاصة شيلي التي اكتشف فيها مأساة الهنود الأكاوفيس، وهم من ناجة البحر الذين انقرضوا تقريبا نتيجة سياسة التمدن التي انتهجتها الحكومات المتعاقبة.

مفكر استشرافي

لا يكتفي موران بسرد ذكرياته، بل يواصل دفاعه عن البيئة، الذي كان بدأه في كتاب "الأرض الوطن"، يؤكد أننا نواجه أزمة عالمية، تجد جذورها في نموذج حضاري بُني على الفردانية والجشع والناقص والاستهلاك المفرط والإقصاء، وينبه إلى دور التربية في التوعية لصيانة ما يمكن صيانته قبل فوات الأوان، مركزا على مساهمات الجنوب، كمرجع اجتماعي ثقافي، يحمل فكريا مناهضا للهيمنة قادرا على العودة

الجنوبية، واتصلوا بأهلها، وحازوا شهادات دكتوراه فخرية من جامعاتها. وعلاقته بأميركا اللاتينية يرجع عهدها إلى الستينات، عندما بدأ "الفكر الخلاصي" والأساطير الكبرى للحضارات ما قبل الكولومبية تحظى باهتمامه، ولعل البرازيل، بلد التنوع البشري بامتياز، هي التي أبهرتة، ففيها اكتشف مجتمعا يعيش أكثر التناقضات فنتة وتراجيدية.

وفيها تكونت خلال التسعينات مجموعات تفكير حول "الفكر المعقد"، حيث أوصى موران بضرورة تجاوز ثنائية الثقافة الشعبية والثقافة الكلاسيكية، لأن الثقافة في اعتقاده ينبغي أن يُنظر إليها كتعبير عن تجليات مشتركة، منظما ينظر إلى المنجزات الثقافية كدوات لإبراز الواقع والهوية الإنسانية. ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف زيارته إلى أغلب بلدان أميركا اللاتينية

الكتابة عن الذات قد تتبدى في شكل سيرة ذاتية، وقد ترد في شكل مذكرات أو يوميات أو اعترافات، وقد تأتي في شكل روائي يمزج بين الذاتي والموضوعي والمتخيل. وإذا كانت تلتقي كلها في كونها عملية سرد يروي من خلالها أحد الأشخاص حياته أو جانباً منها، فإنها تختلف في ما بينها من حيث الشكل والغايات.

الفترة، أي في مطلع الأربعينات، حصل على إجازة في التاريخ والجغرافيا وأخرى في الحقوق، قبل أن ينضم إلى صفوف المقاومة الفرنسية تحت اسم مستعار "موران"، أي الاسم الذي سوف يعرف به بقية حياته. وحمل السلاح ضد الاحتلال النازي، وأخيرا انخرط في المعركة الإيكولوجية على المستوى العالمي لإيمانه بأن أكبر مشكل يواجه البشرية هو مصيرها ومصير كوكبها.

بعد الحرب، التحق موران بالمركز الوطني للدراسات العلمية حيث كان سيقا في اهتمامه ببعض الظواهر الهامشية التي تنذر بأزمات لاحقة، قبل أن يتولى إدارته عام 1970. ورغم نشره بعض المؤلفات وتأسيسه مجلة "ذرائع"، فإن اسمه لم يكرس حقاً إلا بداية من عام 1982، حين صاغ مشروع "الفكر المركب" وبدأ تحرير كتابه الضخم "المذهج" الذي انتهى من وضعه عام 2004، وابتكر فيه مصطلح "وصل" للتأكيد على الحاجة إلى ربط ما انفصل وانقطع وتشظى وصُف في مجالات معرفية ومدارس فكرية، لتوليد شكل جديد من المعرفة، خارج الأطر القائمة، لكونه ينظر إلى الأشياء كشكل تتضافر فيه المواجهة والتكامل والتنافس والتعاون في دينامية وطيعة. وقد عدّها عدد من الباحثين والمفكرين نوعاً من الخروج عن الملة في بلد ديكارتي يجلس التخصص. ويذكر موران في هذا الباب علاقته المتوترة بعالم الاجتماع بيير بورديو وأعماله "المتعالية" و"المهيمنة" التي كانت حاضرة في كل مكان، ويضيف موضحاً "أنا لست ضد التخصص، ولكن طريقتي في جمع الأفكار هي التي خالفت المعتاد.

أنا متعدد الاختصاصات لأنني أحتاج إلى اختصاصات متنافذة، فتفتح على بعضها بعضاً لمعالجة القضايا الكبرى، وإلا فليس أمامنا غير تقارير خبراء، يرسم موران محطات فارقة في حياته الشخصية والمهنية، ومساره النضالي، علاوة على الأحداث الكبرى التي عاشها أو كان شاهداً عليها، فيلتقي الذاتي بالموضوعي كما يسردها هذا "الشيخ الشاب" كما يلقب نفسه، وهو الذي لا يزال حاضراً بديهياً قوي الذاكرة رغم أعوامه التي تناهز قرناً من الزمان.

العلم والنضال

زواج موران بين طلب العلم والنضال من أجل قضايا عادلة، إذ أيد استقلال الجزائر وناصر القضية الفلسطينية، وكان من المساندين القلائل للرسام الفرنسي الساخر سيني عندما اتهم ظلماً بمعاداة السامية. بدأ حياته مقاتلاً في صفوف الجمهوريين خلال الحرب الأهلية الإسبانية في أواسط الثلاثينات، ثم انخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1941، وانسلخ منه في مطلع الخمسينات بعد أن تبذرت له الطبيعة الشمولية للمنظومة الاشتراكية. في تلك

هكذا نظر الفلاسفة إلى العلم

المعلمة - صدرت حديثاً عن مشروع "نقل المعارف" ترجمة كتاب "الفلاسفة والعلم" الصادر تحت إشراف بيير فاغنير، أسنانا الفلسفة بجامعة باريس، وهو الإصدار الخامس والثلاثون لمشروع نقل المعارف التابع لهيئة البحرين للثقافة والآثار ويتوافر الكتاب للبيع في مكتبة متحف البحرين الوطني والمكتبة الوطنية.

ويناقش الكتاب العلاقات التي أقامها الفلاسفة مع العلم، وذلك بالنظر في الطرق المتعددة التي تمثل بها الفلاسفة العلم (حالة الذات العارفة أو النشاط العلمي، نسق العبارات أو منهج البحث، أي مجموعة المجالات المعرفية المتكوّنة) وكذلك بالنظر في المشاكل المتعلقة بكل هذه التمثلات.

كما يتوسع الكتاب في تناول أربع إشكاليات كبرى تطرحها علاقة الفلسفة بالعلم ويعرض أفكار أبرز من اهتموا بها، عبر أزمنة الفكر الفلسفي المختلفة، وهي ما العلم ونقد العلم وحدوده، والعلم والنزعة الطبيعية، والعلم والتاريخ والمجتمع، كما يناقش أطروحات لأفلاطون وديكارت وأرسطو وكونت وغيرهم.

قصة الناقد الفني الذي ضيع المشيتين

غير مباح، أو ربما هو محرم، في الإسلام، وكان لهذا تأثيره على الفنون الإسلامية، وعلى العمارة الإسلامية، التي استخدمت زخارف نباتية، وليس صوراً لأشخاص أو حيوانات.

النقاد العرب اهتموا بمفهوم الجمال في الثقافة الغربية وفضلوا الشرب من نهاية المجرى على الشرب من المنبع

وهذا أدى إلى انتشار الفن الزخرفي عبر أشكال وأنماط هندسية. والإسلام، حسب هؤلاء، حظر تصوير الإنسان والحيوان، لأن في ذلك مضاهاة لخلق الله.

التفسير الثاني، يرى في فترة الاستعمار التركي على امتداد أربعة قرون سبباً لتجمد الفنون وعدم تطورها، حتى فن المنمنمات الذي ازدهر في العصر الفارسي والعباسي، وأيضاً في ما يعرف بالمدرسة المغولية، شهد تراجعاً في فترة الحكم العثماني. النهوض بالفن في العالم العربي يتطلب في الدرجة الأولى نهوضاً بمستوى النقد الفني، وهذا لا يمكن أن يحدث بجهود فردية فقط، بل لا بد من جهود تبذل على مستوى الدول، وهنا تلعب وزارات الثقافة ومؤسسات التعليم دوراً هاماً، حتى تعود إلى الغراب مشيته الطبيعية.

ثم مرورا بهيغل وهربرت ريد، أحدث قطعة مع مفهوم الجمال، كما راه العرب والمسلمون.

التبادل الحضاري ليس عبثاً، ولكن ما حصل في المشهد التشكيلي العربي يتجاوز حدود التبادل، إنه قطيعة نجمت عنها فجوة يصعب اليوم ردها.

وحتى لا نظلل النقد وحدهم، يجب أن نعترف بأن الفنانين ساهموا أيضاً في هذه الفجوة فهم ماخوذون بتجربة فنان عصر النهضة الأوروبية وما تلاها من تجارب، نسوا جذورهم أو تناسوها، وراحوا يستلهمون تجارب الغرب:

فضلوا الشرب من نهاية مجرى الماء على الشرب من المنبع.

إذا تتبعنا مسيرة الفن في الغرب، بدءاً من اليونان القديمة إلى اليوم، لن نجد هناك فجوات، بل سنجد خطاً متواصلاً، رغم الاختلاف الشديد بين البدايات والنهائيات، في مسيرة عرفت الكثير من الانفتاح والتأثر بتجارب شعوب أخرى.

التقليد أنواع، يبدأ بنسخ العمل الفني حرفياً، وينتهي بتقليد الأسلوب. وهو في ذلك يختلف عن الاستلهام. الفنان الغربي استلهم تجارب الشعوب الأخرى، تكعيبية بيكاسو استلهمت الأقنعة الأفريقية، وماتيس استلهم أجواء شمال أفريقيا، وغوغان عكس في أعماله أجواء جزر تاهيتي. ولكن أيا منهم لم يقطع من جذوره، كما هو الحال مع الفنان العربي، معظم الفنانين العرب لم يستلهموا تجارب أوروبا، بل نسخوا أساليب الفنانين في أوروبا، وحاولوا تقليد مشيتهم.

هناك تفسيران لما حدث، يرى أصحاب التفسير الأول أن رسم الإنسان

رشاقته مثار إعجاب الحيوانات، ومثار غيرتها وحسدها أيضاً، فاتفتحت على الإيقاع به، وتحذته أن يقلد مشية عضفون يختال قافراً بين الشجر، بقفزات قصيرة سريعة.

قبل الغراب المغرور التحدي وراح يقلد العضفون، إلا أن جسمه لم يساعده على أداء المشية، وبدلاً من الإقلاع عن المحاولة تفرغ كلية يحاول أن يتقنها. محاولاته هذه لم تثر إعجاب الحيوانات الأخرى، بقدر ما أثارت سخريتها. تمضي الحكاية وتقول إن الغراب بعد أن ينس

علي قاسم كاتب سوري مقيم في تونس

حكايتنا مع النقد الفني تشبه إلى حد كبير حكاية "غراب البين الذي ضيع المشيتين".

تبدأ القصة عندما كانت الحيوانات مجتمعة تستعرض مشيتها، وكان الغراب يتميز بمشية ساحرة، فهو قادر على الوقوف على رجل واحدة، يستبدلها بالأخرى بين الفينة والفينة، وكانت



الفن العربي كانت له خصوصياته